مطبوعات : جماعة الوعظ والدعوة الاسلامية ومجلة التقوى بالقاهرة

١

محاضرة فى القول المأثور

لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

ألقاها فى نادى محاضرات جماعة الوعـ

الأستاذ

محمد صادق عرنوس

٢٢ رجب سنة ١٣٥٦ هـ

ترسل مجانا لمن يطلبها من إدارة الجماعة

شارع فؤاد رقم ٥٠ شبرا مصر

ملحق لعدد شوال رقم ١٦٨ من مجلة التقوى

طبعت بمطبعة التقوى

مطبوعات : جماعة الوعظ والدعوة الاسلامية ومجلة التقوى بالقاهرة

١

محاضرة فى القول المأثور

لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

ألقاها فى نادى محاضرات جماعة الو:

الأستاذ

محمد صادق عرنوس

---

٢٢ رجب سنة ١٣٥٦ هـ

ترسل مجانا لمن يطلبها من إدارة الجماعة

شارع فؤاد رقم ٥٠ شبرا مصر

ملحق لعدد شوال رقم ١٦٨ من مجلة التقوى

طبعت بمطبعة التقوى

صلاح آخر هذه الامة

بما صلح به أولها



الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين . والصلاة والسلام علي خير طبيب لأمراض القلوب أصدق من شخص الداء ووصف الدواء . صلي الله عليه وعلى آله وصحبه الذين استجابوا لدعوته . ومشوا على ضوء شرعته ووفق حكمته. فكانوا من الفائزين. وعلى من انتهج نهجهم باحسان الى يوم الدين. أما بعد : فقد طالبت مجلة التقوى القراء الى الكتاب والمفكرين من قرائها أن يدلوا بآرائهم فى الحكمة المأثورة عن أمام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه التى يقول فيها لايصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها وهى كلمة حكيمة قليلة اللفظ غزيرة المعنى لايصف الطبيب النطاسى دواء لهذه الأمة أشفى لدائها منه ولا يلهم مثلها إلا مثله إذ هى القطب الذى دارت حوله جهود المصلحين من

لدن بزوغ شمس الهداية الى يوم الناس هذا

أيها السادة . طالما دار بخلدى موضوع هممت بالكتابة فيه والقائه فى أحد النوادى الاسلامية كمحاضرة ثم كان يصدنى عن قصدى عقيدتى بأن الكلام أصبح لاخير فيه وان بضاعتنا كلها أصبحت كلاما فى كلام وان العمل قد قل بمقدار كثرة العلم وتشقيق القول فهناك وعاظ وأئمة وخطباء اجتماعيون ودينيون هزوا أعواد المنابر وزلزلوا أبواق الراديو أو المذياع كما يقولون وكأن هناك تحالفا أو تخالفاً بين الخطباء والمستمعين فكلما أقبل هؤلاء أدبر أولئك فما عادت تجدى نصيحة ولا تفيد موعظة حسنة والحمد لله الذى لايحمده علي مكروه سواه ولست الآن بصدد تحليل هذه الظاهرة الخطيرة التى عمت الناس جميعا من حيث اعراضهم عن النصح أو عدم تأثير النصح فيهم فذلك مبحث خاص لسنا بسبيله الآن كما قلنا اذ له من العلل والأسباب التى بعضها يرجع لشخصية الناصح وروحه وبعضها يرجع للمنصوح وبعضها يرجع الى موقف أولى الأمر من الفريقين مما لو تعرضنا لبحثه لامتد بنا حبل القول وخرجنا عن موضوعنا فلنعد اليه .

أقول إن هذا الموضوع الذى كان يشغل جانبا من تفكيرى ولا زال هو أن الاسلام بجميع أحكامه جملة وتفصيلا وحدة لاتقبل التجزئة وكل لايقبل التبعيض بحيث أن بقاء بعض أوامره غير معمول به مهما قلت هذه الأوامر والعمل بباقيها حتى علي

أتم وجه يعتبر تعطيلا للكل وتأثم أمة هـــذا شأنها اثما كبيرا تستحق عليه من العقوبة مثل ماعليه الأمم الاسلامية اليوم من ذلة وصغار ومن الحكم المأثورة التى قرأتها فى مجلة التقوى الغراء قول القائل : (الدين بشعبه كالحصن بأركانه متى تداعى واحد منها تتابع بعده الباقى) ومع هذه الحقيقة الواضحة فاننا نرى الناس اليوم الا من رحم ربك جعلوا القرآن عضين فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فاذا تمشى أمر منه وفق مصالحهم رضوا عنه وتحمسوا له وان ناقض مصالحهم شئ منه أعرضوا عنه وتولوا وهم يجمحون وبينا أنا بين إحجام واقدام إذ طلعت علينا صحيفة التقوى الموفقة بهذا الاستفتاء الحكيم فى مضمون هذه الحكمة الذهبية فوجدت مؤداها صورة مطابقة لما كنت اعتزمت الكتابة فيه وان اختلف العنوان فحمدت الله تبارك وتعالى لهذا التوفيق وشجعنى هذا على المغامرة فى القول مع القائلين والله حسبى ونعم الوكيل .

بأى شىء صلح أول هذه الامة

أيها السادة ان عملنا الليلة محصور فى تحديد كلمة هذا الامام العظيم على قدر وسعنا فبأى شىء صلح أول هذه الأمة حتى يطالبها المصلحون ونطالبها معهم للأخذ به والتشدد فيه لينصلح آخرها أى شىء علا جد سلفنا الصالح حتى انتظم ملكهم ما كان

معروفة من الدنيا فى عصرهم ونصروا بالرعب حتى كان يسبقهم الفتح قبل أن يصلوا إلى قصدهم

ماوجهوا عزمهم يوماً إلى بلد يفيض بالكفر إلا فاض إسلاما

ثم بأى شيء رجعنا نحن القهقرى حتى صرنا غرض كل رام وطعام كل آكل وأصبحت كثرتنا قلة وصرنا كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم غثاء كغثاء السيل تداعى علينا الأمم كما تداعى الآكلة إلى قصعتها :

واحسرتاه شهدنا من الزمان انقلابه
صرنا الذنابى وكنا فى العالمين الذؤابة

نعم كيف حصل ذلك وما بلغ من أسلافنا عشر معشارنا فى ظاهر التمدن والرقى المزعوم ولا طاولونا فى ثروة ولا كثرة سواد هل كان فى الصدر الأول فى مكة المكرمة أو المدينة المنورة مدارس تفيض على طلابها العلم لتخريج الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمهندسين والاقتصاديين ورجال القضاء فتخرج منها أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسعد بن عبادة وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وعبيدة بن الجراح وغيرهم من المهاجرين والأنصار ممن سارعوا إلى عقد الصفقة بينهم وبين الله تبارك وتعالى فباعوه أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة حتى حفظوا أمانة هذا الدين فأدوها لمن بعدهم كاملة غير منقوصة أولئك الذين عقمت الأيام أن تلد أمثالهم أو قريباً منهم فى الأمم قديمها

وحديثها . إن شيئاً من ذلك : أيها السادة لم يكن فلا مدارس ولا كليات ولا جامعات ولا معاهد تثقيف أو تربية وما كان ثمة إلا النور الذى أنزل علي محمد صلى الله عليه وسلم فقذفه فى قلوب أصحابه فاذاهم كواكب أمدتها هذه الشمس بالضوء والحرارة فطلع كل كوكب فى أفق أزال قتامه ومحا ظلامه إذن للمسألة وجه آخر وسر ليست مظاهرنا هذه وإن راقت فى أعين البسطاء منه فى كثير ولاقليل سر يجب أن تهتك عنه الحجب وتزول الأستار ذلك أن الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان فهموا الاسلام غير فهمنا وخرجوا مقاصده غير تخريجنا فهموه روحا تتقمص من هداه الله اليه فاذا هو ربانيا حكيما ينظر بنور الله ويحكم بما أنزل الله ولم يفهموه كما فهمناه رسوما عجفاء وصورا جافة يؤدى مايؤدى منها بتكلف ظاهر ويترك مايترك منها غير مأسوف عليه كأنما لم تأت أحكامه طهرة للنفوس وتزكية للأرواح وصلاحا للدنيا وفلاحا فى الآخرة أو كأن ماناتيه من أعمال الله سبحانه وتعالى فى حاجة إليها فنحن نؤديها له بضاعة مزجاة فى حشف وسوء كيلة مع أنه هو الغنى ونحن الفقراء وهو القائل «إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فان الله لغنى حميد» ويقول «ان تكفروا فان الله غنى عنكم وإن تشكروا يرضه لكم»

عناصر الاسلام

كلنا يعلم أن أبنية الاسلام أقيمت على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا فتعالوا نقم على هذه البَنِيَّة كمهندسين معماريين لننظر طبيعة العناصر التى تركبت منها وقبل ذلك يجب أن ندرس حقيقتها ونعلم هويتها ممن أذنه الله أن يقيمها على هذه الأعمدة من المشرع صلى الله عليه وسلم فقد قال ما معناه ماتركت شيئاً يقربكم من الجنة إلا أمرتكم به ولا تركت شيئاً يباعدكم عن النار إلا حذرتكم منه إذن فالحكم الفصل فى ذلك قوله وقد أمرنا أن نرد الشيء الذى تتنازع فيه إلى الله وإلى الرسول أى الى الكتاب والسنة وهاهو كتابه ينطق علينا بالحق وسنته فى متناول أيدينا اليس يعمى عنهما الا الذى فى قلبه مرض وعلى بصره غشاوة .

١ ـ الاسطوانة العظمى

شهادة أن لا إله إلا الله

ليسأل بعضنا بعضا أين نحن من شهادة أن لا إله إلا الله وهى الاسطوانة الكبرى التى أقيمت عليها هذه البنية وما حولها رده لها وقوة هل نقر حقيقة بوحدانية الله سبحانه وتعالى من

صميم قلوبنا فى ذاته وصفاته وأفعاله أى نوحده توحيد سلفنا الصالح فلا نشرك معه أحداً من خلقه توحيداً يظهر نوره فى قلوبنا وآثاره فى أعمالنا وجوارحنا هل أفردناه حقيقة بالربوبية فاعتقدنا أنه النافع الضار والواهب المانع وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وتوكلنا عليه توكل من اعتقد أن مرد كل شيء اليه ثم أخذ فى الأسباب وأتى البيوت من أبوابها هل أدركنا معنى الحديث الصحيح إنه قد نفث الروح الأمين فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب والحديث المشهور الذى يرويه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم الذى منه « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » وفى رواية أخرى « واعلم أن ماأصابك لم يكن ليخطئك وماأخطأك لم يكن ليصيبك » وفقهنا معنى قوله تعالى « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » هل فهمنا كل هذا وما فى حكمه فلم نعد نعتقد أن من ليس له سند من جاه أو مال أو واسطة فلن يفلح فى الحياة وأن الأبواب توصد فى وجهه جاعلين الحياة غاية ليست الآخرة بجانبها شيئاً مذكورا فهم الواحد منا دنيا يصيبها من أى الوجوه لايبالى مادام قد أشبع شهواته سلك طريقه إلى الجنة أو إلى النار وذلك شأن متصلة هذا الزمن فجهلوا

بذلك معنى الربوبية الحقة التي كان يفهمها سلفهم الصالح وإذا عرفنا معنى الربوبية وهى إفراد الله جل شأنه بالتصرف فى هذا العالم وحده لاشريك له ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فهل عرفنا الفرق بينها وبين الألوهية وهى أن نفرده وحده بالعبادة والانابة اليه والتبتل اليه والتوسل اليه بالعمل الصالح والتقرب اليه باتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن أغلب الناس اليوم لايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وإذا قيل لهم تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون واعلموا علمتم الخير أن مهمة الرسل صلوات الله عليهم جميعا من أول بعثتهم إلى خاتمهم عليه الصلاة والسلام هي الدعوة إلى التوحيد الخالص وما دعوا اليه إلا بعد ذلك من فضائل فتتمة لهذه الدعوة وتوطيد لأساسها وما عنى القرآن الكريم بشيء عنايته بها ولا استعمل من الأساليب المعجزة لادعام مبدإ وتركيزه فى قلوب الناس ما استعمله فى إدعامها وندبهم اليها فان أغلب سوره لا تخلو من ذم الشرك وتهوين أمر الشركاء ووضعهم فى منازلهم من العبودية

ونذكر على سبيل المثال قول الله جل شأنه « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه »

ويقول فى الآية الأخرى « ان الذين تدعون من دون الله

عباد امثالكم» ويقول «ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» الخ الآيات التى يفيض بها الكتاب العزيز وجاءت السنة المطهرة مفصلة لما أجمله الذكر الحكيم مما يجده المطلعون مبسوطا فى دواوينها الصحيحة وعندي أن المسلمين لم ينكبوا فى عصورهم الأخيرة هذه النكبة التى جعلت أعزتهم أذلة وعصفت بحرياتهم فى كل أرجاء البسيطة إلا حيدهم عن توحيد الله كما وصف نفسه واتخاذهم أربابا من دونه كائنة ما كانت هذه الأرباب فضعفت علاقاتهم به ونسيهم كما نسوه وسلط عليهم الظالمين فجاسوا خلال الديار وكان أمرا مفعولا وما كان الله سبحانه شعب مختار ينصره فى حال طاعته ومعصيته ولكنه قال «ولينصرن الله من ينصره» وقد حكى ادعاء اليهود والنصارى لهذا الاختيار ورد عليهم بقوله . «وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير» وفى الآية الأخرى : «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) ولو أن قوما كرمهم الله لمجرد انتسابهم لدين بعينه أو نبي لفضله بدون عمل يرضاه لكان الصحابة

أولى الناس بهذا ونبيهم أفضل الخلق عليه ولكنهم كانوا أخلص الناس توحيدا وأثبتهم ايمانا وأبعدهم همة وأزكاهم عملا بل كلما ازدادوا من الله قربا بأعمالهم كلما جدوا واجتهدوا وكانوا فى بيعهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله من الصادقين وهذا مطلب متسع النواحى عميق الآثار من الواجب أن يأخـــذ حقه من العناية بمقدار ماله من أثر فى عودة المسلمين الى سابق عزتهم لو عادوا لتوحيد الله مخلصين .

فاذا انتقلنا من البحث فى هذه الاسطوانة العظمى بقلوب دامية الى الفريضة التى تليها أهمية وهى :

٢ - فريضة الصلاة

فريضة راعنا ماوصل اليه المسلمون من تقصير فيها وعدم أدائها بشروطها وأركانها من اسراع فى القراءة ونقر فى الركوع والسجود وعدم اطمئنان فى القيام والجلوس وبالجملة فهى الصلاة الخداج التى تلف كما يلف الثوب الخلق ويرمى بها فى وجه صاحبها يوم القيامة مع أنها من الأهمية بحيث جعلها الحق جل اسمه مما يستعين به العبد فى دنياه وآخرته فقال « واستعينوا بالصبر والصلاة » وبحيث جعلها أهل النار فى دائرة الأسباب التى أوبقتهم وذلك عند ماسألهم أهل الجنة ماسلككم فى سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين الى آخر

جوابهم ومع هذه الأهمية العظمى نرى المسلمين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون فاذا وجد من الأئمة وهم أقل من القليل من يؤدى الصلاة ببعض الخشوع والاطمئنان قامت قيامة المأمومين وقالوا تعطلت مصالحنا والنبي ﷺ أمر بالتخفيف وساقوا الحديث المشهور « من أم بالناس فليخفف الخ والأولى أن يقولوا من أم بالناس فليلعب أو ليهزل لأن المصطفى ﷺ يقول « صلوا كما رأيتموني أصلي » وقد نقلت صفة صلاته بطريق التواتر فما روى أحد أنه صلي كصلاتنا أبدا بل ثبت أنه كان يأمر أصحابه بالتخفيف ويصلى بهم فى الركعة الواحدة بسورة الصافات فأين صلاته وصلاة أصحابه من صلاتنا التي صرنا نجارى بها البهلوان فى خفة الحركات ولاعبي الجمباز فى الركعات والسجدات وكيف يجمعون هدانا الله واياهم بين الخشوع الذى هو روح الصلاة ولب لبابها وبين ماهم عليه من السرعة اوانشغال الخاطر وتمنى انقضائها بأى شكل تبرما بها وملالا من أدائها والرسول عليه الصلاة والسلام يقول من حديث « وجعلت قرة عيني فى الصلاة » وكان يقول لبلال إذا وجبت أرحنا بالصلاة يابلال وهؤلاء علي كل حال خطبهم أهون من التاركـين لها المستهزئين بمن يصـلى وهم شباب العصر عبيد التفرنج ومدعي المدنية الذين كثر سوادهم وعمت البلوى بهم وقد حـكم بعض الأئمة على أمثالهم بالـكفر وبعضهم بما دونه بقليل وعلى كل فحد

تاركها شرعا القتل مع الأمر بمقاطعته وعدم معاملته والفرار منه ان لم ينفذ فيه أمر الله .

وإذا أردت أن تعرف أهمية الصلاة من ناحية أخرى فانظر إلى أنها دون بقية الفرائض لارخصة فى تركها البتة ولا فى تأجيلها لوقت غير وقتها إلا للنفساء والحائض فلا تسقط عن أحد حتى فى حالة المرض الشديد وحتى فى أخطر المواقف وهى مواقف القتال وإنما لكل مقام صلاته الخاصة والواقع أن مصيبتنا فى هذه الفريضة مصيبة بعيدة الغور يجب إن كنا نريد القرب من الله جل اسمه والانابة اليه بعد إخلاص التوحيد لدفع مانزل بنا من بلاء أن ننظر إلى هذه الفريضة نظرة جدية غير نظرنا اليها الآن وأن نتواصى بأدائها فى أوقاتها وعلى وجهها حسب الاستطاعة ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أجهر بكلمة الحق وهى أن على إخواننا أئمة المساجد أكبر التبعة فيما وقع فيه الناس اليوم من أداء الصلاة على هذا الوجه الناقص إن لم تكن عليهم التبعة كلها وذلك ان الامام لو أخذ بالعزيمة واطمأن فى صلاته ولم يجار الناس على أهوائهم وان برموا به فى أول الأمر ولكنهم صائرون حتما إلى تجويد صلاتهم بحكم الاقتداء بإمامهم وقد رأيت كثيرا من الأئمة الذين يقدرون عظم المسئولية الملقاة عليهم جاهدوا فى هذا حتى نجحوا فيه نجاحا كبيرا حتى أنه ليشعر الانسان بالفرق العظيم بين صلاة من

يؤمهم مثل أولئك الأئمة الموفقين وبين الصـلاة خلف غيرهم وكذلك نرى كثيراً من الأئمة لايُعنون بتسوية الصفوف وسد الفرج ولا بأمر المأمومين بالتمهل وعدم العجلة ولا بإزالة كثير من البدع التي أصبحت تؤتى فى المساجد من غير نكير من تشويش بعضهم على بعض وجهرهم بالقراءة فى غير موضع الجهر وبالدعاء فى التكبيرات وغير ذلك يسكتون عن كل ذلك مجاراة للناس وتأليفا لهم حتى لاينفروا من ارتياد المساجد مع أن الأمر بالعكس . فانهم لو أفهموهم بالحكمة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من توقير المساجد ووقفها علي عبادة الله وعدم إيذاء عباده بالتشويش عليهم وكيف كان هديه فى بيوت الله وكيف كانت صلاته فيها ثم شفع نصيحته بالعمل أمامهم حسب قوله لاطمأنت بذلك قلوبهم ولانت جلودهم لذكر الله وما نزل من الحق ولأصبحوا بعد قليل من الجهد مسلمين حقا فى هذه الناحية ولظهرت عليهم آثار الصلاة وجنوا ثمرتها من الوقوف عند حدود الله الذي يقول « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »

٣ – الزكاة

فاذا جاوزنا فريضة الصلاة الى شقيقتها فريضة الزكاة عرفنا كيف أهمل المسلمون فى شعيرة عُدّت مع الصلاة فى قرن ولزت وإياها فى

نمط فلا تكاد تجد آية فى الكتاب العزيز أفردت الصلاة بالذكر ولم تقرن معها الزكاة إلا القليل جدا بل عد إتيان الصلاة من غير بذل الصدقة وعمل الخير ومساعدة المحتاج رياء حيث يقول فى هذا المقام خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم :

أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون» فقد رتب على الصلاة المقبولة عنده كل خير يناله العبد وما تقرب العبد الى ربه بمثل ماافترضه عليه ومع ذلك فاننا نرى الشأن فى المسلمين استسهلوا من العبادات ماحملتهم عليه العادات ولم يرزأهم فى ذات أموالهم ولا أنفسهم شيئا فهم يصلون حيث لاتكلفهم صلاتهم نفقة ويصومون حيث لايتطلب صومهم بذلا وهكذا استحالت الفرائض عندهم الى صور ليس بينها وبين أصلها أقل نسب. أما الزكاة فلأنها بذل صرف ليس فيه تجوز ولا تخييل ينيب صورتها عن حقيقتها فقد أسقطوها جملة من حسابهم الا الموفقون وقليل ماهم وعموا وصموا عن الحكمة فى تشريعها وغلبهم الشح على أمرهم فما عادوا يصدقون وعداً ولا يرهبون وعيداً .

لقد جعل الحق تبارك وتعالى فى أموال الأغنياء للفقراء حقا معلوما يؤخذ منهم أخذا هينا لاعنت فيه ووعد ووعده الحق أن يزكى مال معطيه ويزيده خيرا وبركة والناس إخوة وإن اختلفت درجاتهم

الاجتماعية والله فضل بعضهم على بعض فى الرزق ليبلوهم فيما آتاهم فواجب الأخ الغنى أن يساعد أخاه الفقير حتى تتبادل بينهما المحبة وتموت الضغائن وينزع ما فى القلوب من غل. ولو أنا ذهبنا نتحرى الأسباب التى صيرت الدنيا اليوم أتونا ملتهبا من العداوات والشحناء لوجدنا أساسها عدم التوازن فى معاملة الناس بعضهم لبعض فطائفة آكلة وطائفة مأكولة حتى نتأت من جراثيم يأس الأكثرية من النصفة واجراء العدالة هذه المبادئ الهدامة التى قام ساسة الأمم يدرءون غوائلها بعد أن استفحل شرها فأخطأ الجميع تشخيص الداء فأخطأهم وصف الدواء ولو أن الناس فقهوا تنظيم الاسلام للعلاقات بين الأغنياء والفقراء لهرعوا إلى مبادئه يداوون بها عللهم ولانطفأ هذا الجحيم المتقد بينهم ولكن هيهات هيهات وأهله أنفسهم من التقصير فيها والقصور عنها بالمكان الذى شرحناه الا ترى كيف فهم الصديق رضى الله عنه أهمية الزكاة العظمى كركن من أركان الاسلام عند مامنعها بعض العرب فقاتلهم عليها قتال المرتد الخارج عن حظيرة الاسلام حتى أدوها وقال عند مراجعة الفاروق إياه فى هذا القتال حكمته الخالدة والله لو منعونى عناقا (وهو ذكر المعز) كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه ومع كل ما عليه الزكاة من أهمية بل من ضرورة اجتماعية فان بعض أهل الخير من المسلمين الذين فيهم بقية ضمير يبكتهم على تركها لايعدم فئة من علماء السوء . يفتونه فيها

بغير ما أنزل الله من تلمس الحيل المجرمة والأقوال الزائفة حتى يرجع عما اعتزمه حتى صارت هذه الفريضة العظيمة الخطر عند المسلمين أقل الفرائض أداء ولا قوة إلا بالله . ولى من قصيدة فى الزكاة

شُرعت لنا فضـلا لتطهير الغنى
وحسـم شر الفاقة المستفحل
من لى بإيتاء الزكاة ووضعها
بين الفرائض فى المكان الأول
من لى بمن يدرى بأن كياننا
سهم الذنوب أصابه فى المقتل
لـكنما هدم الزكاة وتركها
عمداً بهذا الصرح أخطر معول

٤ – الصوم

أما الصوم فلا أنكر أن المسلمين به أكثر احتفالا منهم ببقية الفرائض حتى الذين لا يصلون منهم رجالا ونساء يستحيون من الناس ويصومون أو يتظاهرون بالصيام فى شهر رمضان أما المجاهرون بالفطر فيه فهم من الحقارة بحيث لا نفرد لهـم حديثا وانما حديثنا الى الصائمين فنقول لهم ان الجوع والعطش ليساهما كل حكمة التشريع فى الصوم ولـكن له أسرارا وراءها جهلها الناس أو تجاهلوها لقصورهم عن تذوقها والانتفاع بجليل مزاياها

يقول النبي ﷺ (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله من حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) وأمر أن يكف الصائم يده ولسانه فلا يقاتل ولا يشاتم وان بودئ بذلك ومع ذلك فاننا نرى أخلاق الناس تسوء فى أيام الصوم أكثر منها فى أى وقت آخر فاذا ساءت أخلاق أحدهم اعتذر بأنه صائم فيالله من اطراد الأمور فينااطرادا غكسيا وكان النبي ﷺ أجود من الريح المرسلة وأجود مايكون فى رمضان ونحن ان جدنا فغنى يجود على غنى يتبادلان المادب ويتقارضان الولائم وتصف ذلك ألسنتهم بأنه كرم وهو كرم أريد به غير وجه الله انما فعل مباهاة ومفاخرة فهو مردود على صاحبه مادام ليس للفقير منه نصيب ثم ونهار الصوم عند المترفين نوم وليله لهو ولعب فلا مدارسة للقرآن ولا تفهم لمعانيه ولا ارتياد لمجالس العلم للتفقه فى دين ولا تزود من آداب ولا اجتماع على طاعة ولا أمر جامع يصلح شأن المسلمين ويقيل من عثراتهم وانما هو مقسم بين ملء البطون وحظ النفوس من الشهوات فاذا انتهى الناس الى يوم العيد حصل فيه مانعلم وتعلمون وارتكب فيه من المخالفات مايبغضه الله ورسوله مع أنه يوم من أكرم الايام على الله تزاد فيه الدرجات وتحط السيئات .

٥ — الحج

أما الحج وما أدراك ماالحج فهو مؤتمر المسلمين

ملتقى أهل القبلة جميعا من جميع الأجناس يأتون من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم وليشكروا الله على مارزقهم من بهيمة الانعام ثم ليطوفوا بالبيت العتيق حتى إذا أدوا مناسكهم اجتمعوا فأدلى كل بما عنده من شئون وشجون فيتدارسون مواقفهم ويتكاشفون بما هو حاصل فى بلادهم فتتلاقح الآراء بما يدفع عنهم البلاء ويتقى به كيد الاعداء فان شهادة المنافع فى الآية الكريمة بسبب اجتماعهم للحج أعم من حصرها فى محيط خاص بل هي جامعة شاملة لكل خير يعود عليهم أفرادا وجماعات فما موقف المسلمين اليوم من هذه الفريضة ؟ أولا ان نسبة الذين يؤدونها فعلا الى نسبة القادرين على أدائها المتكاسلين عنها نسبة ضئيلة جدا بل لا تكاد تكون هناك نسبة أصلا بين عدد الوافدين الى بيت الله الحرام وبين سواد المسلمين الضخم بالرغم من التسهيلات العظيمة واستتباب الأمن فى حماه استتبابا ليس له نظير فى بلاد العالم وقل أن روى التاريخ له نظير مع أن الله تبارك وتعالى أوجبها علي المستطيع بأسلوب ليس فيه هوادة حيث يقول (ولله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) ثانيا ان غالب الحجاج اليوم لا يعلمون سر الحج وحكمة مشروعيته ولذلك تراهم يعودون كما ذهبوا لم يكسب أحدهم إلا لقب الحاج يأتى به مباهيا حريصا عليه أما عمله بعد الحج فهو كعمله قبله من حيث السيرة السيئة والمعاملة المذمومة

لم تخالط هذه الفريضة قلبه فتوجهه الى الخير ولا يخجل بعد أن حج البيت وزاد الروضة المطهرة من أن يعمل مايغضب رب البيت ويحزن صاحب الروضة فلا بشرع الله اهتدى ولا بسنة نبيه اقتدى وما هكذا كان موقف سلفنا الصالح تجاه هذه الفريضة بل كان لزاما على القادر منهم أن يحج فاذا حج راعى مافى الحج من حكم وآداب فكانت هي الحجة المبرورة التى ليس لصاحبها جزاء الا الجنة ثم كان أساس تأدية هذا الركن عندهم أن يؤدوه من مال حلال لاتشوبه الريب ولا تحوم حوله الشبهات

٦ ـ نحن وسلفنا الصالح

هذه أيها الاخوان المامة بسيطة على القواعد التى بنى عليها الاسلام وكل واحدة منها فى حاجة الى محاضرة مستقلة فاذا جزناها الى ماصلح عليه أول أمر هذه الامة من حيث الحكم بما أنزل الله واقامة حدوده وعدم التهاون فيها حز فى النفس وجرح القلب اهمال المسلمين اياها هذا الاهمال الشنيع الذى تدركون شناعته بالمقارنة بين ما كان عليه سلفكم من القيام عليها وعدم التفريط فى حد منها أو التجوز فيه أو تأويله على غير وجهه وفى حادثة المخزومية السارقة التى استشفع لها عند النبي ﷺ فغضب أشد الغضب وقال للشفيع أتخاطبنى فى النزول عن حد من حدود الله والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها . نعم لو قارنا

بين ذلك وبين ماوصلت اليه قيمة الحدود عندنا لبكينا بدل الدمع دما فقد استعضنا عنه بقوانين أجنبية لاتعاقب الزانية بل تعطيها ترخيصا تباشر به الزنا بين سمع الأمة وبصرها ولا تعاقب الزانى مادامت الزانية راضية الا إن ثبت أنه اغتصبها اغتصابا فكثرت فى الأمة الأمراض وظهر الفساد وماتت النخوة وذهبت العزة وهذه القوانين لاتزجر شارب الخمر ولا تقيم عليه حدا بل تسهل له أسباب تعاطيها باباحة الاعلان عنها فى أظهر مكان وبكافة الأساليب المغرية فأنى اتجهت فالاعلانات عنها فى الميادين العامة وعلى سطوح المنازل بالكتابة الضخمة والحروف الكهربائية ذات الألوان المختلفة كما يرى واضحا فى ميدان باب الحديد فالخارج من المحطة أول مايشاهده هذه الصور المخزية وفى الصحف والمجلات وقد سمعنا منذ قليل أن أحد الملاحدة المعروفين أبيح له فى محطة الاذاعة الرسمية أن يمتدح الخمر وتعاطيها فى ثنايا محاضرة كلها غمز ولمز وعدوان علي الفضيلة كعادته فى كل مايكتب أو يحاضر وكفى مبررا لكل ذلك عند الحكومة أن تجنى من تجارها ثمرات الرسوم الجمركية ولو كان فى ذلك هلاك الأمة وتدمير مقوماتها وهذه القوانين وان قست علي السارق قليلا الا أن مافيها من زجر له لايجعله يقلع عن السرقة بل انه لتغريه بالعودة اليها كلما سنحت الفرصة

***

ولست الآن فى مقام تفصيل الحدود حدا حدا ومقارنة زواجر الشرع للمخالفين بأمثالها فى هذه القوانين الأجنبية ولكن يكفى أن أقول اجمالا اننا صرنا نتحاكم فى كل شئوننا الى غير ما أنزل الله وهو القائل فى محكم التنزيل

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وكررها فى ثلاث مواضع متقاربة فى الكتاب العزيز مع وصف المخالفين بالكافرين والظالمين والفاسقين فانضع أنفسنا من كتاب الله حيث وضعنا الله وان تعجب فعجب اتهام المغرضين بعض أحكام الشرع بالقسوة كحد الزنا والسرقة مثلا ولو علموا السر فى قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب) لأخذتهم روعته ولعلمو أن عقولهم هى القاصرة عن رؤية مافيه من جمال فلو أن حدود الله أقيمت كما أمر لانقطع دابر الجرائم بتاتا ولذاق الناس لذة الأمن المفقود وقد جنى ثمرة ذلك من وفقهم الله للعمل بشرعه وهم عنا غير بعيد. وقد أباحت القوانين الأجنبية التى استعضنا بها عن شريعتنا المطهرة الربا فى المعاملات مما أدى الى هذا الخراب الذى تنظرونه بأعينكم وتلمسونه بأيديكم فقد هدمت به بيوت من أساسها ونكبت به أسر كريمة ذهبت ريحها وأصبح أفرادها بائسين لأن الله تعالت اسماؤه يقول (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) ويقول تهديدا لمن لم يتب عن المعاملة به (فان لم تفعلوا فأذنوا

بحرب من الله ورسوله) وقد أشهر الله تعالى علينا حربا شعواء فى صورة محق البركة من الأموال وارسال الآفات تصيب الزرع والضرع والهاب النفوس بالاغراق فى الجمع والسعار فى حب الدنيا والتحرق على مافات منها وما يعلم جنود ربك إلا هو ولقد فشا هذا الوباء فى جميع الأوساط فلو رحت تحصر البيوت التى خلت من جراثيمه بين آكلة ومأكولة لأعجزك ذلك بتاتا ولم يعد يتحرج من المعاملة به مخلوق وقد أدركنا عهدا غير بعيد كان الآخذ فيه لأشد الضرورات شيئا من المال بالربح يستخفى من الناس ويستتر استتار من أتى أمرا شنيعا .

هذه صورة من أخلاق سلفنا فى الماضى القريب فضلا عن السلف الصالح وأظن أننا فى غنى عن شرح تحرجهم من هذا الرجس بدليل ما كان الله يفيضه عليهم من البركات لأن البركة والربا ضدان لا يجتمعان فى محل واحد وأوكد لكم أيها الاخوان أن هذه الأزمات التى أصابت العالم أجمع فأتت على بنيان سعادته من القواعد إن هى إلا نتيجة لازمة لهذه المعاملات الربوية التى تغلغلت فى كل شأن من شئون حياة الناس حتى صار مطعمهم حراما وملبسهم حراما وغذى الصغير منه فنشأ كما ترون لا يخاف الله رب العالمين فاذا التفتنا الى الآداب العامة راعنا ما عليه المسلمون من السكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى فشت فيهم المنكرات وسكتوا عنها وهى هى الحالة التى لعن الله لأجلها فريقا من بنى

اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم حيث كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه. وأروع مايروع الحر الأبى ماعليه المرأة اليوم فقد ترك لها الرجل الحبل على الغارب وخرجت هائمة على وجهها لاتلوى على أحد وغرتها ألفاظ جنود ابليس المعسولة من حرية ومساواة وغيرها من المغريات وها أنتم ترونها على حالة تدمى القلوب من تبرج لم يكن فى عهد الجاهلية الأولى لأنها أصبحت تخرج عارية أو نصف عارية تتسكع فى الطرقات لغير قصد إلا لفت الأنظار اليها . ثم وبغض النظر عن أوامر الشرع فى هذا فهل ماتت النخوة من الرجال وهل انعدمت الغيرة فما عاد الرجل يهمه أمر زوجته أو أخته أو ابنته فيتركها تخرج وتسير وحدها متبرجة بزينة تذهب حيث تشاء وتمشى مع من تشاء وبعكس ذلك كانت نساء السلف الصالح يتوارين عن الأنظار ويتوخين الطرقات التى يقل فيها المارة اذا دعت الضرورة لخروجهن

وانى أقرر والأسف ملء فؤادى أن هذه الحالة غزت بيوتا كنا نظن انها فى نجوة من هذا الفساد ولله الأمر من قبل ومن بعد :

لقد راع تفشى هذا الوباء حتى الأمم التى لاتعنى بدين فهبت تقاومه مقاومة جبرية بواسطة قوانين صارمة سنتها لذلك ونحن وللأسف نقف منها موقف المتفرج فلا لهذه الأمم قلدنا ولا باحكام ديننا عملنا تدابر المسلمون وانقطع ما بينهم من مودة

ونسوا آداب كتابهم الذى يقول انما المؤمنون اخوة وقول رسول الله ﷺ (لن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحبه لنفسه) وصاروا شيعا وأحزابا يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا وبدل أن يتواصوا فيما بينهم بالمعروف تواصوا بالقطيعة والبغضاء ودبت عقارب الفتن بين الأسر وذوى الأرحام وأصبح كل على الآخر حربا وصاروا كما قال فيهم أبو العلاء :

وهذا الناس خداع ... إلى جانب خداع
يعيثون مع الذئب ... ويبكون مع الراعي

وأتقى التقاة فيهم من يحجز شره عن الناس أما أن يسعى فى معونة المحتاج منهم وإرشاد الضال وتثقيف الجاهل لوجه الله فهذه لغة صاروا لايفهمونها كما كان يفهمها سلفهم الصالح وان لنا فى المهاجرين عند ما آخى بينهم رسول الله ﷺ وبين الأنصار لعبرة لو كنا معتبرين فلقد كان الرجل من الأنصار يعامل الرجل من المهاجرين كأحب الناس لديه وقد هم بعضهم بالنزول عن بعض أزواجه لأخيه فى الله سخاء بأعز مايملك فأبى أخوه ذلك بشمم واباء وظلوا يتوارثون توارث ذوى الأرحام حتى نزل قوله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) إلى هذه الدرجة بلغت أخوة اسلافنا حتى امتدحهم الله تبارك وتعالى بقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من

الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال (لقد رأيتنا على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وما منا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم)

والأصل فى الأخوة أن يحب الرجل أخاه فى الله ولله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض لله فاذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية لله)

وفى حديث آخر (أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله عز وجل)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما رواية عن ابن جرير (من أحب فى الله وأبغض فى الله ووالى فى الله وعادى فى الله فانما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك)

وقد وردت الآثار المستفيضة عن النبي صلي الله عليه وسلم فى مدح المحبة فى الله فجعل من هذا شأنه من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله وقد جعل المتحابين فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ممن يغبطهم الأنبياء والشهدا

يوم القيامة لأن الحب فيه عز وجل والبغض فيه أعظم أصل من أصول الاسلام إذ عليه يترتب استتباب النظام والأمن فى الأمة لأن المجرم إذا قاطعه الناس لجرمه خصوصا أهله وعشيرته فانه يجد لذلك من الغضاضة على نفسه ماتهون بجانبه كل عقوبة وان غلظت فلا يجرؤ بعدها أن يقارف ذنباً وقد كانت أول مقاطعة وقعت من المسلمين على الثلاثة الذين خلفوا حتى وصف الله تبارك وتعالى حالهم أبلغ وصف إذ يقول : حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلا إليه . الخ وكيف لاتضيق عليهم أنفسهم وقد كان الرجل يدخل الى بيته وينادى وما من مجيب لامن ولد ولا من امرأة وقد كادت تؤدى بأحدهم هذه الحالة الى أن يتردى من أعلى الجبل ولا يقاطع هذه المقاطعة التى صيرته كالبعير الأجرب يفر منه كل من لقيه وهذا هو فقه السلف الصالح لأوامر الله عز وجل ينفذونها على وجهها بدون مماحكة ولا تأويل ولا مراعاة خواطر . أخذ رجل اسمه صُبيغ فى زمن الفاروق رضى الله عنه يسأله عن أشياء فى كتاب الله ظنه الفاروق بها ملحداً أو زائغا يطلب المتشابه منه فضربه ونفاه إلى الكوفة وأمر الناس بمقاطعته فكان إذا أتى مجلسا فروا منه وقالوا طلبة أمير المؤمنين حتى تاب وأناب وأرسل الوالى بذلك إلى الفاروق فأذن بعودته حتى إذا نجمت الفتن فى أواخر حكم عثمان وزمن على رضى الله عنهما ودعاه الخوارج

ليكون معهم قال هيهات نفعتنى موعظة العبد الصالح ! !

وقد حرم الله علي المؤمن الصادق الايمان أن يواد المجرمين المحادين لله ورسوله بل نفى الايمان نفيا باتاً عن الموادين لهم حيث يقــول عز وجل (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورســوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون)

فأين نحن من هذا الأدب الربانى الحكيم ألا ترى أن المنكرات والموبقات أصبحت تؤتى جهاراً وما من نكير ؟ هل قاطع أخ منا أخاه لأنه خالف دين الله. هل قاطع والد ولده . هل قاطع قريب قريبه كلا ولـكن لبعدنا عن روح الدين وآدابه أصبح يعين الأب ابنه علي ارتـكاب الجرائم بغضه عن سيرته وتهاونه فى تأديبه واعطائه من النقود مايطلب فان أظهر أبوه بعض النفور سدت اليه والدته مسده فى اغرائه على الفجور وقامت مقام والده فى تسهيل كل طريق له

أناشدك الله أليس لك صديق من مــدمنى الخمر التاركين للصلاة والزكاة الآمرين بالمنكر الناهين عن المعروف فهل قاطعته فى الله أولا زالت صلتك به متينة وقلبك ينشرح إذا لقيته بـل إذا دعاك الى مجلس من مجالس أنسه أجبت وغاية صلاحك إن

لم تشرب الخمر أن تأ كل المزة ! وفى بلاد الأرياف أصبح القتل عندهم هو (المودة) الحديثة فالرجل منهم يقتـــل الرجل لأتفه الأسباب لأنه شتمه أو اغتابه أو جار عليه قليلا فى الحد أو لان ماشيته مرت فى غيطه من هذه الأسباب التى لعلكم تندهشون لبساطتها فما كانت تسقط من نفسها أو بقليل من العتاب الا ببقر البطون وضرب الرقاب نعم قد ارتفعت نسبة الجرائم فى القرى فأكثرت الحكومة من انشاء المراكز والنقـط وبثت رجال الشرطة والخفراء فى كل بلد وعزبة وانتشر الوعاظ فى البـــلاد يخطبون ويعظون فهل أجدى كل ذلك ؟ لا والله بل ازداد الداء تفاقما والأمر حرجا حيث اخطأ الـكل موضع العلة مع أن الدواء سهل ميسور ذلك هو بغض المجرم فى الله ومقاطعة جميع الناس إياه والشهادة عليه إن شوهد يقترف الجرم فاذا الناس بعد ذلك فى أمن وطمأنينة. لقد بلغ استهتار المجرمـين بالأرواح ان القتل كان يرتكب فى الشارع العام فى بلدة فى الصعيد فلا يجد ولى الدم شاهدا واحدا يؤدى على القاتل الشهادة وقد يراه فوق الخمسين شخصا بين مارة وتجار وظلت هذه البلدة تتطاحن هكذا حتى فنى رجالها أو كادوا وسبب كل هذا مضاربة صبيين تحمس لكل منهما أهله فكانت بينهم مجزرة أتت علي الأخضر واليابس وهكذا لو درست حالة الجرائم والمنكرات مما يقترف فى المدن أو القرى لوجدت كل أسبابها عدم الحب فى الله والبغض فى الله إذ لو تحقق

هذا ماهاون شخص مجرما عـلى جرمه أو ساعده علي الافلات منه كما نرى الشأن فينا اليوم ولقد تولد من تركنا هذه الخـلة الـكريمة أن تفشت شهادة الزور بين الناس جميعا وعلى الأخص بين من يسمون أنفسهم بهتانا بالمسلمين فكم ديست حقوق وأريقت دماء وذهبت مصالح ضياعا بسبب شهادة الزور وعدم وجود من يؤدى الشهادة علي وجهها بالرغم من الوعيد الشديد الوارد عنها فى الـكتاب والسنـة قال تعالى : (ولا تـكتموا الشهادة ومن يـكتمها فانه آثم قلبه) وقال فى آية أخرى (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو علي أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »

دواء نفوسنا من هذا الأكسير العجيب الذى يحيل النقص كمالا واشباه الرجال رجالا وأعنى به الشجاعة الأدبية التى تجعلنا أن نقول صراحة للمجرم أنت مجرم كائنة ما كانت صلتنا به أو قرابتنا منه وفى أى طبقة من طبقات الهيئة الاجتماعية كان فيصبح وقد أقلع عن اجرامه أو كاد أقول إن خلو أنفسنا من هـذه الفضيلة هو الذى جعلنا نتخبط فى هذه الفوضى الأخلاقية التى ضجت منها العائلات وشكت دور العلم واختلط فيها الحابـل بالنابل وأصبح الصغير بوقاحته يظن نفسه كبيرا والـكبير بخلع الصغير طاعته إياه صغيرا .

يظن بعض الجهلاء أن الناس فى مثل هذه الفتن غير متضامنين مع أنهم متضامنون وموزع مايصيبهم من بلاء توزيعا عادلا لافرق فى ذلك بين المقسط والقاسط كيف لا والله تبارك وتعالى يقول (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) ومن هنا قال علماء الاجتماع إن الأمم تذنب كما يذنب الأفراد وذنب الأمم استخذاء ابنائها بعضهم ازاء بعض فى عدم استعمال الشجاعة الأدبية فى دفع مايصدر عن مجرميهم من آثام تبعاتها كما قلنا موزعة عليهم جميعا بنسبة عادلة وانظر بعين الروية إلى قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون)

ثم ألا ترون أن كلمة العذاب حقت على ثمود جميعا لما عقر واحد من القبيلة ناقة صالح وقد نسب الفعل فى بعض الآيات للكل حيث قال تعالى « فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها » وقد علمت أن الذى عقرها واحد ولكن ذهب الكل ضحية سكوتهم على ماقدمت يداه

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك

ان يعمهم الله بعقاب من عنده وروى أن رجلا سأل النبي ﷺ أى الجهاد أفضل قال كلمة حق عند سلطان جائر .

واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى ديننا الحنيف بل فى كل الأديان التى سبقته فى المنزلة التى تحيا بحياته الأمة وتموت بموته حتى لقد كانت وظيفة المحتسب وهو الذى كان يقوم بهذا الواجب العظيم من أرفع وظائف الدولة إلى عهد غير بعيد فانها كانت تكاد تكون ووظيفة الوزارة متساويتين وذلك تقديرا من الدول الاسلامية الرشيدة لهذا الأمر الجليل ولعل تخصيص أفراد يقومون به أخذ من قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ثم انظروا كيف استحقت الأمة الاسلامية الأولوية فى الخير على سائر الأمم لسبب اتصافها به فقال تبارك وتعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فلما تخلت عن هذه الوظيفة وماتت فى نفوس أبنائها الصراحة والشجاعة الأدبية فما عادت تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر نظمت فى سلك الذين لعنوا من بنى إسرائيل أى طردوا من الولاية التى خولوها بسبب تغاضيهم عن المآثم وسكوتهم على الجرائم «سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا »

يقول الله تبارك وتعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا

مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) والمترفون بطبيعة الحال فى كل بلد هم أقلية ضرورة أن المترف يحتاج إلى الغنى والشأن فى الناس الاقلال فلما فسقت هذه الأقلية عن أمر ربها ولم تجد من الأكثرية رادعا لها نزل بهم العذاب جميعا. أنظروا أيها الاخوان إلى عملنا اليوم ومركزنا بين الأمم ثم انظروا بعين الاعتبار إلى ما وصف الله به أولياءه (الحقيقيين بهذا الاسم لا الأولياء الاصطلاحيين فى عرف هذا الجيل من الدجاجلة والممرورين وأصحاب الخبل فى عقولهم والقذر فى أجسادهم) أولئك الذين ورثهم الله الأرض واصطفاهم لعمارتها وانتدبهم خلفاء فيها كسلفنا الصالح رضى الله عنهم حيث يقول فى وصفهم (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) فلما نقضنا البيعة وخلعنا العهد من أعناقنا بتضييع لوازمه التى رشحتنا له انتقل هذا الميراث إلى غيرنا فسامنا هذا الغير من الذل ما نتجرعه ولا نكاد نسيغه مما هو واقع بكل المسلمين اليوم فى بسيط الكرة الارضية وصدق الله إذ يقول (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه تفصيلا لما أمر به الكتاب العزيز من ايجاب هذه فريضة على الأمة وتنويها بالعقوبة المترتبة على تركها « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعو

خيارکم فلا يستجاب لهم ولتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم» وأنتم ترون أن هذه العقوبة قد وقعت فعلا بل قد وقع ماهو أشد منها نكالا كلما زدنا تراخيا زادنا الله خبالا والجزاء من جنس العمل .

قال الله تعالى حاكيا لنا بعض أحوال الأمم السابقة لنتعظ بما أجراه عليهم من السنن الكونية (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين)

٧ـ نحن والتضحية في سبيل الحق

يقول الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله إن موتا فى الحق هو عين الحياة وقديما أدرك سر هذه الحكمة سحرة فرعون الذين جهروا بالحق بعد إذ تبين لهم ولم يثنهم تهديد فرعون ولا تهويله فى أنواع العذاب الذى ينزله بهم إذا لم يرجعوا عما اعتزموه نعم لم يثنهم كل ذلك عن أن يصارحوه بكلمة الحق فى غير مواربة فصاحوا بها فى وجهه لا نادمين ولا خائفين كلمة سارت على وجه الدهر مسير الشمس كلمة لا تصدر إلا من قلب عمره الايمان بربه عز وجل فدار مع الحق حيث وجده لا يتزعزع ولا يخاف ولو هدد بالصلب وقطع الأيدى والأرجل من خلاف

فقد قالوا له بعد أن تبين لهم الحق (لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لايموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عـــدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) ذهب أولئك الأبطال ضحايا العقيدة الصحيحة وشهداء الحق الذى تبين لهم طيبة بذلك نفوسهم مطمئنة به قلوبهم كما ذهب ضحية صراحته النادرة المثال ذلك الرجل العظيم الذى نادى على رؤس الاشهاد ينصح قومه باتباع الحق الذى جاء به أنبياؤهم من عند الله لينقذهم من الضــلالة ويخرجهم من الظلمات الى النور وهم فى سورة عنادهم لايقبلون نصحا ولايهشون لموعظة فكان جزاؤه عندهم القتل فنال من الكرامة عنــد ربه ماحكاه من قصته فى سورة يس «وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون ومالى لاأعبد الذى فطرنى واليه ترجعون ءأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إنى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين»

ثم انظروا إلى موقف البطرك الذى وقفه أصحاب الأخدود

الذى أجمله الله تبارك وتعالى فى سورة البروج وفصله الحديث الطويل الذى يرويه مسلم فى صحيحه وخلاصته أن ملكا ظالما بلغه أن جماعة آمنوا بالمسيح عليه السلام وخلعوا دين آبائهم فخد لهم فى الأرض أخدودا أى حفرة عميقة مستطيلة وأوقد فيها نارا عظيمة ثم كان يأتى بالرجل أو المرأة ويسأله فان جهر بعقيدته وتمسك بها قذفه فى اللهب وقد جهروا بها جميعا فقذفوا فيه جميعا رحمهم الله وذهبوا ضحايا استمساكهم بالعقيدة الواضحة.

واذا كان أصحاب الأخدود وسحرة فرعون ومؤمن يس نالوا الشهادة فى سبيل الجهر بالحق فأن مؤمن آل فرعون وقاه الله سيئات ما مكروا مع أنه وقف الى جانب سيدنا موسى عليه السلام يدحض حجج فرعون ويرد عليه مغالطته لقومه ويلقمه كلما فتح فاه حجرا حين أراد البأس الحق بالباطل أمام موسى خيفة أن يتأثر القوم بآياته فينقلبوا مؤمنين وان فى نصيحته لقومه وكره على مزاعم فرعون بالتفنيد لشجاعة لا تصدر إلا عن رجل تعلق قلبه بربه كل التعلق وجعل الدنيا وراءه ظهريا فهو لا يبالى إلا بحسن المصير على حد قول الشاعر الفدائى:

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

وفى تعبير الكتاب الكريم عن هذه البطولة من جمال خلاب وأسلوب معجز ما يصح أن نحيلكم على مرجعه من سورة غافر حتى ينتهى من موقفه هذا الى قوله فيها (وأفوض أمرى

الى الله إن الله بصير بالعباد)

هذه أربع قصص أو أربع مواقف رائعة نرفرف الحق فى وجه الباطل غير هياب مات فى سبيله من مات وحى بفضل الله من حى لاجرم جاءت فى الكتاب العزيز نماذج صادقة لمن شاء الأسوة الحسنة وقد وقعت من أفراد لايمتازون عن بقية الناس إلا بعمق إيمانهم ولم نشأ أن نضرب الأمثال بالأنبياء صلوات الله عليهم وما لاقوه فى سبيل نشر دعوتهم كإبراهيم عليه السلام حينما ألقى فى النار صابرا محتسباً وكنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذى لاقى من عنت قومه خاصة والعرب عامة فى سبيل دعوته ماتعرفون وكغيرهم من إخوانهما النبيين ممن قتل أو عذب أو اضطهد راضين عن ربهم فرحين بما أصابهم فى سبيله . لم نشأ أن نضرب بهم الأمثال لئلا تقولوا إن هؤلاء فى مستوى خاص حيث اختارهم الله على علم فجهزهم باستعداد ليس فى متناول غيرهم من البشر والتاريخ حافل بمواقف التضحية التى وقفها سلفنا الصالح ولست أستطيع إلا أن أشير اليها إشارة إجمالية وأحيلكم على مواقف الصحابة رضى الله عنهم فى مبدإ الإسلام فلقد لاقوا جميعا فى سبيل الله فى بدء الدعوة من العذاب ما لاقبل لبشر باحتماله فما زادهم إلا إيمانا وتثبيتا ألم يكن بلال رضى الله عنه يطرح على ظهره فى الرمضاء مغلولا وفوق بطنه صخرة عظيمة كى لا يتحرك من مكانه فيمكث اليوم واليومين كل ذلك ليرتد عن دينه فاذا أكره على التلفظ بالكلام فلا يزيد

عن قوله أحد أحد. أو لم يقتل والدا عمار بن ياسر رضى الله عنهم صبرا فى سبيل تمسكهما بالحق وكاد عمار يلحق بهما من شدة العذاب لولا أن تداركه رحمة من ربه وكان ﷺ كلما مر بهم وهم يعذبون ولا قدرة له علي تخليصهم يقول: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة وعبدالله بن مظعون أول ميت من المهاجرين فى المدينة لما قامت بينه وبين سفيه من مشركي قريش مشادة بعد أن اكتفى بجوار الله عن جوار الوليد بن المغيرة المخزومى (وقد كان داخلا فى جواره) فلطمه السفيه على عينه فاخضرت على مرأى من الوليد فقال له أما والله ياابن أخى إن كانت عينك عما أصابها لغنية لقد كنت فى ذمة منيعة فقال عثمان: والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله! بل كل غزوات رسول الله ﷺ كانت له ولأصحابه جميعا أنواط شرف لايزيدها مضى الزمن إلا جدة وكذلك ما كان من أصحابه بعده فى كل مغازيهم وفتوحاتهم إن هى إلا تضحيات بالأنفس والأموال فى سبيل الله فنحيلكم عليها ففيها المعجب المطرب وبحسبكم ما كان يلاقيه بقية المؤمنين من أهل الأندلس فى أخريات أيامهم من محاكم التفتيش من عذاب فوق احتمال الناس فكان يؤتى بالرجل منهم على ملأ من الناس ويؤمر بكلمة الكفر فإن لم يقلها قطعت أطرافه بعضه بعض يزيد عذابه أضعافا أو جيء بالنار (القطران) فى درجة الغليان وصب فى جوفه وهو يحتمل ذلك صابرا حتى

تخرج روحه الطاهرة من بدنه وما ظفروا منه بهذه الكلمة وقد كان له فى واسع رحمة الله مندوحة حيث يقول (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) وانا لنتساءل الآن أين نحن من التضحية فى سبيل الواجب وما نعتقد أنه حق ؟ وما مدى الفرق فى هذا بيننا وبين سلفنا الصالح وكم يوجد منا فى كل ألف من إذا دعا داعى الدين لباه ودخل فى الصفقة التى يقول الله تعالى فيها (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) أظن إن الوهن (حب الدنيا وكراهية الموت) الذى تحققت به نبوءة الصادق المصدوق ﷺ فينا يجعل المقارنة بيننا وبينهم مخزية مندية فلنترك ذلك لتقديركم .

٨ علماؤنا وواجب الامر بالمعروف

والنهى عن المنكر

رسالة العالم فى الحياة لايقدرها قدرها من العلماء إلا الذين فهموا الدنيا كما خلقها الله من أنها مجاز إلى الآخرة لادار إقامة ويكفى فى عظم قدرهم والتنويه بشأنهم أنهم ورثة الأنبياء ولذلك يقول تبارك وتعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء) فبين فى هذا الحصر ان العلم هو الطريق الى خشية الله وإذن فكل عالم لايخشى الله فصفه بالجهل مهما اصطلح الناس على وصفه بالعلم وبالغوا فى نسبة العلم اليه ويقول الله فى الآية الأخرى (قل هل

يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ويقول تنويها بفضل العلم الموصل الى التقوى وهو مراده تعالى فى كل ما ذكره عنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أما العلم الذى يرفع جهلا فى فرع من فروع الحياة وشئونها ولا يوصل الى خشية الله والاستعداد للآخرة فقد قال الله تعالى فى شأن ذويه (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)

لقد كان العلماء من سلفنا الصالح يطلبون العلم ليصلوا به الى طاعة الله فكانوا من التقوى بمكان العظيم وكانوا يقدرون وظيفتهم فى الحياة فلا يلوثونها بضمع فى شهواتها ولا بحرص على مفاتنها ولذاتها فوصلهم خوفهم من الله الى منزلة ما كانوا يبالون معها بالجهر بالحق للخلفاء فمن دونهم وهم فى ذلك القصص الرائعة التى يخطئها العد قالت صحيفة الفتح الغراء تحت عنوان علماؤنا فى زمن الخير — لما حج هشام بن عبد الملك فى خلافته دخل الكعبة فاذا فيها سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال له الخليفة يا سالم سلنى حاجة فأجابه انى لأستحيي من الله أن أسأل فى بيته غيره ! فلما خرج سالم من جوف الكعبة خرج فى أثره هشام — وهو كبير ملوك الأرض على الاطلاق وقال له الآن قد خرجت من بيت الله فسلنى حاجة فقال سالم من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ فقال هشام من حوائج الدنيا فقال سالم إنى ما سألت الدنيا من يملكها (أى الله عز وجل) فكيف

أسألها من لا يملكها ؟ ثم تتقدم الفتح فى آخر الكلمة برهان طريف حيث تقول : إننا نقدم هذه الصحيفة هدية مدى الحياة لمن يدلنا على عالم واحد فى الاربعمائة مليون مسلم الموجودين اليوم تكون له مثل هذه العزة والعفة أمام أصغر حاكم على وجه الأرض ! ولن تجد من يدلها فلتبق أعدادها غير منقوصة .

يحدثنا التاريخ أن عبد الله بن علي مؤسس الدولة العباسية الذى كان لا يبالى باهراق الدماء فى سبيل تأسيسها لما قدم الشام وقتل بنى أمية بعد ذهاب دولتهم استدعى الامام الاوزاعى العالم الورع المشهور وقال له ماتقول فى دماء بنى أمية قال قدكانت بينك وبينهم عهود وكان ينبغى أن نفى بها . قال ويحك اجعلنى واياهم لاعهد بيننا قال الأوزاعى فأجهشت نفسى وكرهت القتل وتذكرت مقامى بين يدى الله فلفظتها فقلت دماؤهم عليك حرام فغضب وانتفخت عيناه وأوداجه وقال ويحك ولم ؟ قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بأحدى ثلاث ثيب زان ونفس بنفس وتارك لدينه » قال ويحك أليس الأمر لنا ديانة قلت كيف ذاك قال أو ليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى لعلى قلت لو أوصى لعلى ماحكم الحكمين فسكت وقد اجتمع غضبه فجعلت أتوقع رأسى يسقط بين يديه فأشار بيده هكذا وأومأ أن أخرجوه فخرجت. وغير الأوزاعى من العلماء كسعيد بن جبير الذى قتل دفاعا عن الحق وغير سعيد كالأئمة

أصحاب المذاهب المعروفة لم يخل واحد منهم من ضرب أو سجن أو تعذيب ذياداً عن عقيدة أو جهر بحق مهيض غير آبهين بسلطان ولا بجاه عريض وقصصهم في ذلك ملء عين التاريخ جمالا وروعة

نهى القاضي منذر بن سعيد الخليفة الناصر — وناهيك بالناصر سلطانا ومنعة وسعة ملك — عن قراميد الذهب والفضة التي سقف بها قبيبة الصرح الممرد أحد صروح الزهراء فقال له في نصحه له : ما ظننت أن الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله وفضلك به على العالمين حتى أنزلك منازل الكافرين فاقشعر الناصر من قوله وقال انظر ماتقول كيف أنزلني منازلهم ؟ قال أليس الله تبارك وتعالى يقول (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون) فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا ودموعه تجري على لحيته خشوعا لله تعالى وتندما اليه ثم أقبل على منذر بن سعيد وقال جزاك الله تعالى ياقاضي خيرا عنا وعن المسلمين والدين وكثر في الناس أمثالك فالذي قلت هو والله الحق وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قرامدها ترابا . ويبلغ اعتزاز العلماء بالعلم الموصل الى خشية الله وحده أن شيخ الاسلام العز بن عبد السلام حصل بينه وبين أمراء مصر في زمنه ما أوجب أن يفتي ببيعهم

كزنيق وإيداع أثمانهم بيت مال المسلمين للانفاق منه على مصالح الدولة ! ! وجاهرهم بذلك فى غير خوف من نقمتهم أو جبروتهم وهم الحكام بأمرهم فحاولوا أن يتفادوا هذا العار جهدهم فما تنازل الشيخ عن رأيه بل اضطروا أن يشتروا منه أنفسهم صاغرين وأن تصرف أثمانهم فى مصالح المسلمين ! ولا غرابة فى ذلك وهو الذى أفتى فتيا تبين له خطؤها فأمر مناديا ينادى فى شوارع القاهرة من أفتى له ابن عبد السلام بكذا فلا يعمل به فانه خطأ والرجوع الى الحق وان كان فى ذاته فضيلة إلا أن قليلا من الناس من اذا علم الحق أذعن له حتى بينه وبين نفسه وأقل من القليل من إذا تبين له أن الحق غير ماقال أعلن ذلك على الملأ مجاهرة من غير عناد ولا مكابرة وهذه صفحة من خلال علماء السلف فما موقف علمائنا من ذلك [1] لقد فشت ظاهرة سكوت الناس بعضهم عن مفاسد بعض بين جميع الطبقات ومن أكبر حاكم إلى أصغر السوقة حتى وصلت إلى بيئة العلماء الذين ليس لهم عمل فى الدنيا إلا النصيحة الخالصة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم لايخافون فى الجهر بها لومة لائم نعم فشت فيهم هذه الظاهرة الساحقة الماحقة كغيرهم من الناس ورأينا جذوة الصراحة قد خمدت فى نفوسهم وغلبتهم الدنيا على أمرهم كما غلبت غيرهم فداروا

---

١) لصديقنا الأستاذ العالم الشيخ محمد سليمان رحمه الله كتاب اسمه (من أخلاق العلماء) من أحسن ماألف فى بابه فليرجع اليه من أراد

حول أنفسهم لايعيرون الفتن التي يرونها عن ايمانهم وعن شمائلهم ما يتطلبه دفعها من عناية ولايعلو لهم صوت إلا في طلب دنيا ولا تسمع لهم شكاة إلا من غبن يعتقدون انه لحقهم في أسباب معاشهم فلئن عذرنا سواد الناس على ماهم فيه من غفلة واستنامة على هذا البلاء فما الذي نعتذر به عن سادتنا العلماء وقد رأوا بأعينهم ولمسوا بأيديهم تحقق وعيد الله تعالى في قوله «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون» فما لهم وهم أطباء النفوس لايجهرون بلسان واحد على قلب رجل واحد بالعلاج الشافي لهذا الوباء الذي عم وطم وأين هم عفا الله عنهم من الحديث الذي يرويه مسلم عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ اذ يقول «مامن نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالايفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل»

وليعلموا أن القراء – وهم العلماء – كانوا في زمن النبي ﷺ وزمن خلفائه الراشدين هم نواة الجيوش في كل المغازي والفتوح كانوا لايضنون بشيء في نصرة الدين فأغلى شيء وهو النفس في سبيله أحقره فقد كان من أسباب جمع سيدنا عثمان للقرآن في المصاحف بحالته التي هو عليها الآن خشيته من استئصال الحروب

للقراء فبدأ في جمعه كما يروى التاريخ عند ما استحر القتل في القراء واليوم لا يكلفهم الأمر بذل أرواحهم ولكنه يتطلب منهم شيئا يسيرا من الزهـد في الدنيا والخوف من الله فيجهروا بالحق لا يواربون في تقريره ولا يداهنون واليا أو حاكما خشية ذهاب دنيا في اليد أو ترقب الشيء منها في الغد وقـد روى الحاكم في المستدرك أن النبي ﷺ قال « إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم ياظالم فقد تودع منهم ومن أولى من العلماء بهذه المقالة ومن أعرف منهم بمراضي الله ومساخطه لو عملوا ببعض مايعلمون

﴿ الخاتمة ﴾

وهكذا لو رحنا نستعرض أوامر الشرع وتعاليمه وطبقناها على أنفسنا كقانون واجب التنفيذ لخرجنا بنتيجة هي أن ما بيننا وبينها كالمسافة بين الحق والباطل وكالفرق بين النور والظلام أو الموت والحياة ولأدركنا أن ما نعمله منها إن هو إلا صور مسيخة لأصلها الرائع الجمال وهو لدينا بين حالتين أما ترك لبعضها جملة وإما فعل هو للتمثيل واللعب أقرب منه الى الجد والحقيقة ومن ذلك تستيقنون أن كل محاولة لعودة المسلمين الى سابق عزهم بدون رجوعهم الى حقيقة الأصل الذي أكسب أسلافهم ذلك العز هي محاولة فاشلة وجهود لن تؤتي أكلها وبذلك يظهر لكم واضحا عمق الحكمة الذهبية التي تولينا شرح شيء من مراميها والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟

بيان وشكر وتقدير

نلفت نظر حضرات القراء إلى مانشر فى هذا الموضوع (لايصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) بمجلتنا التقوى فى أعداد سنة ١٣٥٦ وهو :

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام بتونس بالعدد ١٦١

« « « « على النيفر المدرس بجامع الزيتونة بالعدد ١٦٢

« « « « مصطفى أحمد الرفاعى اللبان الكاتب الاسلامى الشهير بالعدد ١٦٣

ولفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ السيد نجم الدين المدرس بجامع العدلية ببغداد بالعدد ١٦٥

ولفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المهيرى العالم بصفاقص بتونس بالعدد ١٦٥

ولدينا ردود أخرى ستنشر بالأعداد المقبلة ان شاء الله ولا يسعنا الا أن نقدم آيات الشكر والتقدير لكل من وافانا بالرد على استفتائنا الذى نال استحسان كل من اطلع عليه. ونبلغ حضرات الذين نشرت ردودهم ثناء حضرات القراء الكرام على ما أدلوا به من آراء صائبة ونظريات عالية فى هذا الموضوع والجماعة مستعدة لأن ترسل الأعداد التى نشرت بها هذه الردود القيمة لمن يطلبها

الفهرس

تصويب

جاء فى صفحة ٢٦ سطر ١٧ (وأزواجه أمهاتكم والصواب وأزواجه أمهاتهم)

جمعية الوعظ والدعوة الإسلامية

[illegible]ـت عام ١٣٤٢ هجرية

[illegible] جماعة مصرية تقوم بالدعوة للاســـلام بالخارج ورسائلها مترجمة للآن الى اللغات الألمانية والفرنسية والانجليزية والايطالية واليونانية والاسبرانتو ترسل مجانا إلى جميع أنحاء العالم ومجلتها التقوى النصف شهريه هى أنفع مجلة إسلامية.